مجلة الرواق للدراسات الاجتماعية والإنسانية | ISSN: 2437 - 0363 EISSN 2602-6767 | المجلد 12 / العدد: 01 (2026)، ص 1058-1073

الكتابة اللسانية والترجمة

Linguistic Discourse and Translation

لونيس الحاج بلخياطي[1*]

[1] جامعة أحمد بن يحي الونشريسي تيسمسيلت (الجزائر)، lounisbelkhiati@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2026/01/18 تاريخ القبول: 2026/03/13 تاريخ النشر: 2026/06/05

ملخص:

تستقصي هذه الدراسة الدور التأسيسي والأنطولوجي الذي لعبته "الترجمة" في تشكيل خارطة اللسانيات العربية المعاصرة. تنطلق الدراسة من فرضية إبستمولوجية قارة مفادها أن اللسانيات الحديثة (*Linguistics*) - كنسق معرفي غربي المنشأ - لم تتطور عضوياً من داخل التراث النحوي العربي، بل وفدت إليه عبر "صدمة الترجمة". تناقش الدراسة عبر منهج وصفي تحليلي ونقدي كيف تحولت الترجمة من مجرد "قنطرة عبور" للنصوص إلى "فعل مثاقفة" معقد وشائك، نتج عنه ما يمكن تسميته بـ "أزمة المصطلح" و"تشظي المفهوم". يعالج البحث إشكاليات التلقي المشرقي والمغربي للنظريات البنيوية والتوليدية، وكيف أدى غياب التوحيد المصطلحي إلى خلق "جزر لسانية" معزولة. تخلص الدراسة إلى أن الترجمة لم تكن مجرد ناقل للمعرفة، بل كانت، وعبر خيارات المترجمين الذاتية، سلطة معرفية أعادت إنتاج اللسانيات في صورة مشوهة أحياناً، مما يستدعي اليوم الانتقال من "الترجمة النصية" إلى "الترجمة النقدية التأويلية" لتوطين المعرفة اللسانية توطيناً حقيقياً.

كلمات مفتاحية: الترجمة اللسانية، الإبستمولوجيا اللغوية، فوضى المصطلح، التوليد الدلالي، المثاقفة، التلقي العربي للسانيات.

الكلمات المفتاحية: الترجمة، اللسانيات الحديثة، اللغة المعيارية، الدرس اللغوي.

Abstract:

This comprehensive study investigates the foundational and ontological role played by "translation" in shaping the map of contemporary Arab linguistics. The study proceeds from a firm epistemological hypothesis that modern linguistics—as a Western-originated cognitive system—did not evolve organically from within the Arab grammatical heritage but arrived through the "shock of translation." Using a descriptive-analytical and critical

approach, the paper discusses how translation transformed from a mere "bridge" for texts into a complex act of "acculturation," resulting in what can be termed "terminological crisis" and "conceptual fragmentation." The research addresses the problematics of Mashreqi (Eastern) and Maghrebi (Western) reception of structuralism and generative theories, and how the lack of terminological unification led to the creation of isolated "linguistic islands." The study concludes that translation was not merely a carrier of knowledge but, through the subjective choices of translators, an epistemic authority that sometimes reproduced linguistics in a distorted form. This necessitates a shift today from "textual translation" to "critical hermeneutic translation" to truly localize linguistic knowledge.

Keywords: Linguistic Translation, Linguistic Epistemology, Terminological Chaos, Semantic Generation, Acculturation, Arab Reception of Linguistics.

Abstract : Translation ; Modern Linguistics ; Standard Language ; Linguistic Studies.

*لونيس الحاج بلخياطي

1. مقدمة:

يشهد تاريخ العلوم أن الانتقال المعرفي من حضارة إلى أخرى لا يتم إلا عبر بوابة "الترجمة"، ولكن في حالة "اللسانيات العربية المعاصرة"، لم تكن الترجمة مجرد بوابة، بل كانت "رحماً" تكوّن فيه هذا العلم. فبخلاف العلوم الطبيعية التي تتسم لغتها بالكونية والحياد النسبي، تتسم علوم اللغة بحساسية مفرطة تجاه الوعاء الثقافي الذي تنشأ فيه. لقد ولدت اللسانيات الحديثة في أوروبا مع "فرديناند دي سوسير" كقطيعة معرفية (Epistemological Rupture)مع فقه اللغة التاريخي، ثم تطورت في أمريكا مع "تشومسكي" كثورة عقلانية ضد السلوكية. هذا السياق الغربي الصرف جعل من وصول هذه النظريات إلى الحقل الثقافي العربي أمراً مستحيلاً دون وساطة الترجمة.

إن الإشكالية التي يعالجها هذا البحث لا تكمن في "ضرورة" الترجمة، فهذا أمر مفروغ منه، بل في "كيفية" حدوثها و"الآثار" المترتبة عليها. لقد وجد المترجم العربي نفسه أمام معضلة مزدوجة: كيف ينقل جهازاً مفاهيمياً (Conceptual Apparatus) صُمم لوصف

اللغات الهندو-أوروبية، ليصف به لغة سامية (العربية) تمتلك تراثاً نحوياً وبلاغياً ضارباً في القدم والرسوخ؟

تحولت الترجمة هنا من عملية نقل آلي إلى ساحة صراع بين "القديم" و"الجديد"، وبين "المشرق" و"المغرب"، وبين "الفرنسية" و"الإنكليزية". أفرز هذا الصراع فوضى عارمة في المصطلحات، حيث نجد للمفهوم الواحد عشرات المقابلات، مما أدى إلى "تشويش إبستمولوجي (Epistemological Noise) "حال دون تراكم المعرفة اللسانية العربية. يسعى هذا البحث، عبر ثلاثة محاور موسعة، إلى تشريح هذه الظاهرة، بدءاً من السياق التاريخي للترجمة، مروراً بمعضلة المصطلح، وصولاً إلى أثر ذلك على مستقبل البحث اللغوي العربي.

المحور الأول: السياق التاريخي والإبستمولوجي (الترجمة كضرورة حتمية وصدمة معرفية)

Axis 1: Historical and Epistemological Context (Translation as Imperative Necessity and Cognitive Shock)

لا يمكن فهم واقع اللسانيات العربية اليوم دون العودة إلى لحظة "الاصطدام" الأولى. كيف دخلت هذه العلوم؟ ولماذا كانت الترجمة هي النافذة الوحيدة؟ وكيف أثرت الجغرافيا السياسية والثقافية في شكل الترجمة؟

المسألة الأولى: اللسانيات كمنتج حداثي غربي (الغربة المعرفية للو افد)

تأسست اللسانيات الحديثة على أنقاض النحو التقليدي الغربي، متبنية "المنهج الوصفي (Descriptive) "بدلاً من "المعياري (Prescriptive) "، ومؤسسة لمفاهيم مثل "اعتباطية العلامة" و"الزمنية" و"البنية". هذه المفاهيم لم تكن مجرد مفردات جديدة، بل كانت "نظام تفكير (Paradigm) "مغاير تماماً للعقلية النحوية العربية التي تقدس المعيارية وتربط اللغة بالمقدس وتعتمد المنطق الأرسطي في التعليل(Tamam , 1994) .

إن هذا التباين الجذري جعل اللسانيات علماً "غريباً (Alien Science) "بكل ما تحمله الكلمة من معنى. لم يكن ممكناً استنبات اللسانيات من داخل كتب سيبويه أو الجرجاني

مباشرة -رغم وجود إرهاصات عبقرية لديهم- لأن الأرضية الفلسفية مختلفة (الوضعية المنطقية والبنيوية مقابل المنطق الفقهي والكلامي). لذا كانت الترجمة هي "الجسر الإجباري". المترجم العربي في منتصف القرن العشرين لم يكن ينقل نصوصاً، بل كان يحاول "تطعيم" العقل العربي ببرمجيات تفكير جديدة كلياً، وهو ما يفسر المقاومة الشديدة التي واجهتها هذه الترجمات في بداياتها.

المسألة الثانية: الترجمة والمثاقفة (من النقل الأمين إلى التوطين القسري)

تجاوزت الترجمة اللسانية مفهوم "النقل الأمين" لتصبح فعلاً من أفعال "المثاقفة" (Acculturation). كان رواد الترجمة اللسانية (مثل تمام حسان، وعبد الرحمن الحاج صالح، وميشال زكريا) يقومون بعملية "تفاوض حضاري."

في البدايات، كانت الترجمة تتسم بـ"الاستلاب"، حيث يتم نقل النص الغربي بقداسة، مع محاولة إقحام اللغة العربية في قوالبه. لاحقاً، ظهر اتجاه "التأصيل" أو "التوطين"، حيث حاول المترجمون البحث عن جذور لهذه النظريات في التراث العربي لتبرير قبولها (مثلاً: القول بأن سيبويه كان بنيوياً قبل سوسير). هذه المحاولات، التي تمت عبر مقدمات وهوامش الكتب المترجمة، كانت جزءاً من استراتيجية الترجمة لتمرير "الوافد" عبر عباءة "الموروث". إذن، الترجمة هنا لم تكن بريئة، بل كانت مشحونة بهاجس الهوية ومحاولة ردم الفجوة الحضارية (Al-Jabri, 1985).

المسألة الثالثة: الجغرافيا اللسانية (الانقسام المشرقي والمغربي)

لعبت لغة المستعمر السابق (Colonial Language) دوراً حاسماً في توجيه دفة الترجمة اللسانية، مما خلق شرخاً إبستمولوجياً بين جناحي الوطن العربي:

1. **المدرسة المغاربية (تونس، المغرب، الجزائر):** انفتحت باكراً على اللسانيات الفرنسية (Francophone). تُرجمت أعمال سوسير، ومارتينيه، وبنفيست، وغريماس، ورولان بارت. اتسمت هذه الترجمات بالطابع الفلسفي المجرد، والتركيز على البنيوية والسيميائيات. اللغة المترجمة هنا كانت مشبعة بالمصطلحات المعقدة والتركيبات الجملية المتأثرة بالفرنسية.

2. **المدرسة المشرقية (مصر، العراق، الشام):** انفتحت أكثر على اللسانيات الأنجلوساكسونية (Anglophone) (عبر البعثات إلى أمريكا وإنجلترا). تُرجمت أعمال بلومفيلد، وفيرث، وتشومسكي. اتسمت هذه الترجمات بالنزعة الوظيفية والعملية (Pragmatic)، وكانت لغتها أقرب إلى التراث العربي التقليدي. هذا الانقسام في "المصدر" جعل القارئ العربي أمام "لسانياتين" لا واحدة؛ لسانيات مغاربية "مفرنسة" ولسانيات مشرقية "مؤنجلة"، مما عمق أزمة التواصل العلمي.

المسألة الرابعة: القصور التراثي والحاجة الماسة للأدوات الوافدة

لماذا رضخنا لسلطة الترجمة؟ لأن التراث اللغوي العربي، رغم ضخامته، وصل إلى مرحلة "التشبع" و"التكرار (Scholasticism) "في عصور الانحطاط وما بعدها. توقف النحو عند حدود "الجملة (Sentence Grammar) "ولم يتجاوزها لدراسة "النص (Text) " (Grammar بشكل ممنهج، واقتصرت البلاغة على المحسنات، واختفى فقه اللغة لصالح المعاجم الجامدة.

جاءت اللسانيات الغربية لتقدم "أدوات إجرائية (Operational Tools) "كانت مفقودة: التحليل الفونولوجي الدقيق، تحليل الخطاب، التداولية، والسيميائيات. هذه "المناطق الفراغية" في المعرفة العربية هي التي منحت الترجمة مشروعيتها. كانت الحاجة ماسة لأدوات تفكيك جديدة لقراءة النص (القرآني والأدبي) بطريقة عصرية، فلم يكن هناك مفر من استيراد "المجهر" الغربي عبر الترجمة لفحص "الجسد" العربي.

المحور الثاني: معضلة المصطلح (بين خيانة الدال ووفاء المدلول)

Axis 2: The Terminological Dilemma (Between Betraying the Signifier and Keeping Faith with the Signified)

يمثل هذا المحور "قلب الأزمة". إذا كانت الترجمة جسراً، فالمصطلحات هي حجارة هذا الجسر. وفي الحالة العربية، كانت الحجارة غير متناسقة، مما جعل الجسر متعرجاً وخطراً.

المسألة الأولى: فوضى التعدد والترادف(Synonymy Chaos)

لعل أكبر عائق واجه تراكم المعرفة اللسانية هو ظاهرة "التضخم المصطلحي" (Terminological Inflation). المفهوم الواحد في اللغة الأجنبية يقابله في العربية سيل من المرادفات.

- **مثال :(Phoneme)** تُرجم إلى: (فونيم، صوت، صوتم، وحدة صوتية، ملفظ، حرف صوتي).
- **مثال :(Morpheme)** تُرجم إلى: (مورفيم، صرفية، صوتم، وحدة صرفية، مونيم).
- **مثال :(Signifier/Signified)** (دال/مدلول) عند البعض، و(باث/مبثوث) عند آخرين، و(لفظ/معنى) عند التقليديين.

هذا التعدد ليس ثراءً لغوياً كما قد يُظن، بل هو "كارثة معرفية". إنه يمنع الباحثين من التواصل. القارئ لكتاب مترجم في المغرب قد لا يفهم كتاباً مترجماً في العراق رغم أنهما يتحدثان عن نفس النظرية. لقد تحولت الطاقة الذهنية للباحث العربي من "تحليل الظواهر اللغوية" إلى "فك شيفرة المصطلحات المترجمة"، مما أدى إلى هدر هائل للجهد العلمي (Zakharia, 1993).

المسألة الثانية: آليات التوليد: صراع الاستراتيجيات(Ta'rib vs. Tarjama)

انعكس الخلاف المنهجي بين المترجمين على آليات وضع المصطلح، وتوزعوا بين ثلاث استراتيجيات متصارعة:

1. **التعريب الصوتي :(Transliteration)** الحفاظ على الجرس الأجنبي (إيديولوجيا، سيميولوجيا، فونولوجيا). حجة هؤلاء أن المصطلح "اسم علم" ومفتاح عالمي لا يجب تغييره لربط القارئ بالأصل.

2. **التوليد الاشتقاقي :(Derivation)** استغلال مرونة الصرف العربي (النحت، القياس). مثل ترجمة (Semiotics) إلى "سيميائيات" (من السمة)، أو (Stylistics) إلى "أسلوبية". هذا الاتجاه هو الأنجح نسبياً لكنه يصطدم أحياناً بجمود المجامع اللغوية.

3. **إحياء التراث :(Revivalism)** البحث عن مقابل قديم. مثل استخدام "النظم" لـ (Syntagmatic relation).مشكلة هذا الاتجاه أنه يُحمل المصطلح الجديد حمولات دينية وتاريخية قديمة قد تشوه دقة المفهوم العلمي الحديث وتخلق لبساً (Confusion) لدى القارئ المعاصر.

المسألة الثالثة: الانزياح المفهومي وخيانة المدلول(Conceptual Displacement)

أخطر ما في الترجمة اللسانية ليس "شكل الكلمة" بل "محتواها المفهومي". اللسانيات علم دقيق (Exact Science) يقترب من الرياضيات في بعض فروعه (مثل التوليدية). كثير من المترجمين العرب جاؤوا من خلفيات أدبية، فترجموا العلم بلغة الأدب، مما أدى إلى "تمييع" الصرامة العلمية.

- **مثال :**مصطلح (Competence) عند تشومسكي يعني "المعرفة الضمنية غير الواعية بقواعد اللغة". ترجمته بـ "كفاءة" أو "قدرة" أو "سليقة" تثير إيحاءات مختلفة. "السليقة" تحيل للبداوة، و"القدرة" تحيل للإمكانية الفيزيائية. اختيار المقابل غير الدقيق يؤدي إلى فهم النظرية بشكل خاطئ تماماً. نحن نقرأ في العربية نظريات "مُحرفة" عن أصلها بسبب خيارات المترجم غير الدقيقة.(Berman, 1985)

المسألة الرابعة: الوهم بالشفافية والمركزية الغربية

وقع كثير من المترجمين في فخ "وهم الشفافية(Illusion of Transparency) "، معتقدين أن لكل مصطلح غربي مقابلاً عربياً جاهزاً ينتظر الاكتشاف. تجاهل هؤلاء أن اللغة العربية لم تواكب الثورة الصناعية والعلمية بنفس وتيرة اللغات الغربية، وبالتالي هناك "فجوات معجمية" حقيقية. الإصرار على إيجاد مقابل عربي "قح" أدى أحياناً إلى مصطلحات غريبة ومضحكة أو غامضة (مثل "اللسنيات" بدل "اللسانيات"). كما أن الاعتماد الكلي على المعاجم المزدوجة (إنجليزي-عربي) دون الرجوع لتعريف المصطلح في سياق النظرية أدى إلى كوارث ترجمية، حيث يُترجم المصطلح بمعناه العامي (Common Sense) لا بمعناه الاصطلاحي.(Technical Sense)

المحور الثالث: التلقي والأثر (مستقبل اللسانيات العربية المترجمة)

Axis 3: Reception and Impact (The Future of Translated Arab Linguistics)

ماذا نتج عن كل هذا؟ كيف استقبل العقل العربي هذه البضاعة المترجمة؟ وهل يمكن الخروج من نفق الترجمة إلى أفق الإنتاج؟

المسألة الأولى: أثر الترجمة على النقد الأدبي (الهيمنة المنهجية)

كانت الترجمة اللسانية هي المحرك الأساسي لثورة النقد الأدبي العربي الحديث. في السبعينيات والثمانينيات، وبفضل ترجمات كتب "الشكلانيين الروس" و"البنيويين الفرنسيين" (تودوروف، جينيت، ياكوبسون)، انتقل النقد العربي من "النقد الانطباعي والتاريخي" (طه حسين، العقاد) إلى "النقد النصي" الصارم.

ظهرت مصطلحات مثل "شعرية(Poetics) "، "انزياح(Deviation) "، "بنية السرد". لقد أمدت الترجمة اللسانية الناقد العربي بـ "عدة شغل (Toolbox) "مكنته من تشريح النصوص العربية بدقة غير مسبوقة. لكن هذا الإغراق في المنهجيات المترجمة أدى أحياناً إلى "تطبيق تعسفي(Procrustean bed) "، حيث يتم لي عنق النص العربي ليتناسب مع النظرية الغربية المترجمة.

المسألة الثانية: الصراع الأيديولوجي (الأصالة والمعاصرة)

لم يكن دخول اللسانيات عبر الترجمة حدثاً علمياً هادئاً، بل أثار زوابع أيديولوجية.

1. **التيار التراثي** :رأى في اللسانيات المترجمة "غزواً ثقافياً" وتهديداً لخصوصية اللغة العربية (لغة القرآن) التي لا تقاس بمقاييس البشر. قاوم هؤلاء المصطلحات المترجمة وتمسكوا بالمصطلح القديم.
2. **التيار الحداثي** :رأى في الترجمة طوق النجاة لتحديث العقل العربي وتخليصه من الجمود.

هذا الصراع جعل التلقي "انتقائياً" و"دفاعياً". بدلاً من هضم النظريات وتجاوزها، استُهلكت الطاقة في الدفاع عنها أو الهجوم عليها. الترجمة هنا كانت "الوقود" لمعركة الهوية (Al-Messiri, 2002).

المسألة الثالثة: نحو ترجمة نقدية تأويلية(Critical Translation)

المستقبل يفرض تغييراً في استراتيجية الترجمة. لقد انتهى زمن "الترجمة الحرفية". نحن بحاجة اليوم إلى "الترجمة الشارحة" أو "الترجمة المؤولة."

المترجم اللساني يجب أن يكون "فيلسوفاً لغوياً" قبل أن يكون مترجماً. عليه أن يتدخل في النص (عبر المقدمات والهوامش) ليشرح السياق التاريخي للمصطلح، ولماذا اختار هذا المقابل العربي، وما هي الخلافات حوله. يجب أن تتحول الترجمة من "نقل صامت" إلى "حوار صاخب" مع النص الأصلي. هذا النوع من الترجمة هو الوحيد القادر على بناء وعي لساني حقيقي وليس مجرد تكديس للمعلومات.

المسألة الرابعة: من الاستهلاك إلى الإنتاج (نحو لسانيات عربية)

الغاية النهائية للترجمة هي "إلغاء الحاجة إليها". النجاح الحقيقي للترجمة اللسانية لا يقاس بعدد الكتب المترجمة، بل بقدرتها على تحفيز العقل العربي لإنتاج نظريات أصيلة. المرحلة القادمة تتطلب الانتقال من "تطبيق" النظريات الغربية على العربية، إلى "استنطاق" العربية لتوليد نظريات لسانية عالمية. هل يمكن أن ننتج "نظرية نحو كلي" انطلاقاً من العربية؟ هذا لن يحدث إلا إذا هضمنا الترجمة وتجاوزناها. الترجمة هي "الرافع (Lever) " الذي يجب أن نستخدمه لنرفع بنياننا الخاص، لا لنسكن في بنيان الآخرين.

المحور الرابع: التحديات المعاصرة والآفاق المستقبلية (الترجمة في عصر الرقمنة والذكاء الاصطناعي)

يستعرض هذا المحور التحديات الجديدة التي تواجه الترجمة اللسانية في السياق العربي المعاصر، مع التركيز على تأثير التكنولوجيا والعولمة والتطورات الرقمية المتسارعة. ينطلق من الفرضية الأساسية أن الترجمة اليوم لم تعد مقتصرة على النصوص التقليدية أو الكتب المطبوعة، بل أصبحت جزءاً لا يتجزأ من نظام رقمي معقد يعيد تشكيل المعرفة اللسانية بشكل جذري. من خلال منهج تحليلي نقدي يجمع بين الوصف التاريخي والتنبؤ المستقبلي، يبرز المحور كيف يمكن للترجمة أن تحول هذه التحديات إلى فرص حقيقية

لتوطين اللسانيات العربية، مع الاستفادة من الأدوات الرقمية لتجاوز العوائق السابقة مثل أزمة المصطلح والانقسام الجغرافي. كما يؤكد على ضرورة دمج الجانب الأخلاقي والثقافي في هذه العمليات لضمان استدامة الإنتاج المعرفي العربي في مواجهة السيطرة الغربية على التكنولوجيا.

المسألة الأولى: الترجمة الآلية والذكاء الاصطناعي (الفرصة والتهديد في ظل الثورة الرقمية)

شهدت الترجمة اللسانية تحولاً جذرياً وغير مسبوق مع انتشار أدوات الذكاء الاصطناعي مثل الترجمة الآلية (Machine Translation) ونماذج اللغة الكبيرة (Large Language Models)، مثل تلك المبنية على تقنيات التعلم العميق مثل GPT أو BERT. في السياق العربي، أدت هذه الأدوات إلى تسهيل نقل النظريات اللسانية بسرعة فائقة، حيث يمكن الآن ترجمة نصوص كاملة من اللسانيات البنيوية أو التوليدية في ثوانٍ معدودة، مما يقلل من الاعتماد على المترجمين البشريين التقليديين ويوسع نطاق الوصول إلى المعرفة للباحثين في الدول العربية ذات الموارد المحدودة. على سبيل المثال، ترجمة مصطلحات معقدة مثل "Deep Structure" (بنية عميقة) عبر أدوات مثل Google Translate أو Microsoft Translatorقد تنتج مقابلات أولية غير دقيقة، مما يعمق أزمة المصطلح السابقة بدلاً من حلها، إذ غالباً ما تفتقر هذه الأدوات إلى الوعي بالسياق الثقافي العربي، مثل التمييز بين المصطلحات المشتقة من التراث النحوي) مثل "الإعراب" مقابل ."Inflection") هذا الاعتماد على الآلة يقلل من دور المترجم البشري، الذي كان يضيف طبقة تأويلية نقدية ضرورية لتجنب التشويه المفهومي، ويحول الترجمة إلى عملية آلية تخلو من السياق الثقافي والتاريخي، مما قد يؤدي إلى انتشار معرفة سطحية أو مشوهة في الأوساط الأكاديمية العربية (Hutchins, 2000). ومع ذلك، يمكن استغلال هذه التكنولوجيا بشكل إيجابي لإنشاء قواعد بيانات مصطلحية موحدة ومتاحة عبر الإنترنت، مثل تطوير تطبيقات متخصصة في اللسانيات العربية تستخدم الذكاء الاصطناعي لاقتراح مقابلات مصطلحية بناءً على

السياقات التاريخية، مما يساعد في تجاوز الفوضى السابقة وتعزيز التواصل بين المدارس المشرقية والمغاربية. بالإضافة إلى ذلك، يثير هذا التحول قضايا أخلاقية مثل خصوصية البيانات والتحيزات الثقافية المضمنة في نماذج الذكاء الاصطناعي، التي غالباً ما تكون مدربة على بيانات غربية، مما يستدعي تطوير نماذج عربية محلية لضمان دقة أكبر في الترجمة اللسانية.

المسألة الثانية: العولمة الرقمية وفقدان الهوية اللسانية (الاستعمار الرقمي وآليات المقاومة)

أدت العولمة الرقمية، المتمثلة في انتشار المنصات الإلكترونية والشبكات الاجتماعية، إلى سيطرة شبه كاملة للغة الإنجليزية على موارد المعرفة الرقمية، مما جعل الترجمة اللسانية أداة غير مباشرة لـ"الاستعمار الرقمي (Digital Colonialism) "الذي يعيد إنتاج الهيمنة الغربية في مجال اللسانيات. في العالم العربي، يعتمد الباحثون بشكل متزايد على موارد إلكترونية مثلJSTOR ، Academia.edu، أو حتى منصات مثلResearchGate ، التي تفرض مصطلحات إنجليزية كمعيار عالمي قياسي، فتترجمها تلقائياً دون مراعاة للخصوصية الثقافية العربية، مما يؤدي إلى "فقدان الهوية (Identity Loss) "اللسانية التدريجي. على سبيل المثال، يصبح التلقي العربي لنظريات مثل التداولية (Pragmatics) أو السيميائيات (Semiotics)مشتتاً بين النسخ الرقمية غير المدققة، حيث قد يتم ترجمة "Implicature" إلى "إيحاء" أو "دلالة ضمنية" بشكل غير متسق، مما يعيق البحث العلمي ويعمق الانقسام الجغرافي بين الجناح المغاربي المتأثر بالفرنسية الرقمية والمشرقي المتجه نحو الإنجليزية. كما أن انتشار الدوريات الإلكترونية المترجمة، مثل تلك المنشورة في مجلات عربية عبر الإنترنت، يعمق هذا الانقسام، إذ غالباً ما تكون الترجمات المغاربية متأثرة بالمصطلحات الفرنسية المجردة) مثل "sémiotique" مترجمة إلى "سيميائيات("، بينما تكون المشرقية أكثر عملية ومتأثرة بالإنجليزية) مثل "pragmatics" مترجمة إلى "تداولية .("لمواجهة هذا التحدي، يجب تطوير منصات عربية رقمية متخصصة في اللسانيات، مثل إنشاء قواعد بيانات مفتوحة

المصدر (Open Access Databases) تعتمد على ترجمة نقدية تشجع على إنتاج محتوى أصيل يدمج التراث العربي مع التقنيات الحديثة، مما يساهم في بناء هوية لسانية عربية مستقلة(Crystal, 2001) .

علاوة على ذلك، يتطلب الأمر تنظيم مؤتمرات رقمية مشتركة بين الدول العربية لتوحيد المصطلحات، واستخدام أدوات مثل الويكيبيديا العربية كمنصة لترجمة جماعية مدققة، لتجنب الاعتماد الكلي على المنصات الغربية وتعزيز المقاومة الثقافية ضد الاستعمار الرقمي.

المسألة الثالثة: بناء قدرات الترجمة المستدامة (التعليم والتدريب في مواجهة التحديات الرقمية)

تواجه الترجمة اللسانية في العالم العربي تحدياً كبيراً في بناء قدرات بشرية مستدامة ومؤهلة، خاصة في ظل نقص البرامج التعليمية المتخصصة والتسارع التكنولوجي الذي يتجاوز المناهج التقليدية. الجامعات العربية، سواء في المشرق أو المغرب، غالباً ما تعتمد على مناهج مترجمة مباشرة من المصادر الغربية دون تكييف كافٍ مع السياق العربي، مما ينتج أجيالاً من الباحثين يعانون من "الاغتراب المعرفي (Epistemic Alienation) "الذي يجعلهم غير قادرين على التعامل مع التحديات الرقمية. على سبيل المثال، دراسة النظرية التوليدية (Generative Theory)لدى تشومسكي تتم عبر ترجمات قديمة وغير محدثة، دون تدريب عملي على التأويل النقدي أو استخدام أدوات الذكاء الاصطناعي لتحليل النصوص العربية، مما يؤدي إلى فجوة بين النظرية والتطبيق العملي. الحل يكمن في إصلاح جذري للنظم التعليمية من خلال دمج الترجمة كمادة أساسية ومستقلة في البرامج الجامعية، مع التركيز على الاستراتيجيات الهجينة (Hybrid Strategies) التي تجمع بين التعريب الصوتي، التوليد الاشتقاقي، وإحياء التراث، لتكوين مترجمين قادرين على التعامل مع التحديات الرقمية. كما يُنصح بتشجيع التعاون الإقليمي العربي لإنشاء مجامع مصطلحية موحدة وبرامج تدريبية عبر الإنترنت، مثل ورش عمل افتراضية تستخدم الذكاء الاصطناعي لمحاكاة عمليات

الترجمة، مما يمهد لمرحلة الإنتاج الذاتي ويحول الترجمة من أداة استيراد سلبية إلى محفز نشط للابتكار في اللسانيات العربية(Venuti, 1995) .

بالإضافة إلى ذلك، يجب التركيز على الجوانب الأخلاقية في التدريب، مثل مكافحة التحيزات الثقافية في الترجمة الآلية، وتشجيع البحوث التطبيقية التي تستخدم اللغة العربية كأساس لتطوير نماذج لسانية عالمية، لضمان استدامة القدرات البشرية في مواجهة الثورة الرقمية.

خاتمة:

ختاماً، يمكن تعميق القول إن اللسانيات في الثقافة العربية المعاصرة قد تشكّلت، في جوهرها، داخل أفق الترجمة وبوساطتها، حتى غدت بحق «ابنة الترجمة»؛ نسبٌ علميٌّ يحمل في طياته وجهي العملة معاً: وجه الإخصاب المعرفي، ووجه الإرباك المنهجي. فالترجمة لم تكن مجرد قناة حيادية لنقل منجزات الغرب اللسانية، بل أدّت وظيفة «مختبر معرفي» أعيدت داخله صياغة المفاهيم، وأُعيد ترتيب العلاقات بين اللغة والمنهج والنظرية، وفي أحيان غير قليلة تعرّضت هذه المفاهيم للتشويه أو للاختزال نتيجة اختلاف السياقات الثقافية والمعرفية.

لقد اضطلعت الترجمة بدور «القاطرة» التي انتشلت الدرس اللغوي العربي من حالة الركود التاريخي إلى أفق الحداثة العلمية، ففرضت عليه أسئلة لم تكن مطروحة من قبل، مثل سؤال المنهج، وسؤال العلمية، وسؤال البنية، وربطت التفكير اللغوي العربي بسيرورة البحث اللساني العالمي. غير أنّ هذا الاندفاع، على أهميته، أفرز في المقابل حالة من «البابلية المصطلحية»، حيث تعددت الترجمات للمفهوم الواحد، وتباينت الخلفيات النظرية للمترجمين، فتشتت الجهود البحثية، وتعزز الانقسام المعرفي بين المدارس والمناطق، ولا سيما بين المشرق والمغرب.

ومن ثمّ، فإن حصيلة ما يناهز نصف قرن – بل يزيد – من الجهود المتراكمة في مجال الترجمة اللسانية تفضي إلى استخلاص نتيجة معرفية حاسمة، مفادها أن امتلاك العلم لا يتحقق بالاستهلاك المفاهيمي ولا بالاكتفاء باستيراد المصطلحات والنظريات الجاهزة، مهما بلغت دقتها أو راهنيتها، وإنما يتحقق أساساً بامتلاك آليات إنتاج المعرفة

اللسانية ذاتها، وباستيعاب الشروط المنهجية والإبستمولوجية التي تحكم تشكّل النظرية وتطورها. فالعلم، في جوهره، ممارسة منتِجة قبل أن يكون رصيداً محفوظاً، ولا يصبح جزءاً من النسيج المعرفي لأي ثقافة إلا حين يتحول إلى أداة لتحليل واقعها وأسئلتها الخاصة.

وانطلاقاً من هذا الوعي، يتضح أن التحدي الحقيقي الذي يواجه اللسانيات العربية المعاصرة لا يتمثل في تكثيف ترجمة أعمال أعلام اللسانيات الغربية، كتشومسكي أو هاليداي أو غيرهما، ولا في مواكبة كل جديد يصدر في هذا الحقل، بقدر ما يتمثل في القدرة على نقل مركز الاشتغال من النص المترجَم إلى الواقع اللغوي العربي ذاته، أي في «ترجمة» هذا الواقع إلى إشكالات بحثية ونماذج تفسيرية تنبع من خصوصيات العربية في بنيتها وتاريخها ووظائفها التداولية والاجتماعية. فالعربية ليست مجرد مادة قابلة لتطبيق النظريات الوافدة، بل هي نسق لغوي وثقافي غني يمكن أن يطرح أسئلة نظرية مغايرة، وربما مراجِعة، لبعض المسلّمات اللسانية السائدة.

ويقتضي هذا التحول الإفادة النقدية الواعية من المناهج الغربية التي أتاحت الترجمة التعرف إليها، لا بوصفها قوالب جاهزة تُستنسخ، بل باعتبارها أدوات إجرائية قابلة للتكييف والتطوير وإعادة التوظيف وفق حاجات البحث في اللغة العربية. فالمطلوب ليس القطيعة مع المنجز اللساني العالمي، ولا الخضوع الكامل لسلطته، وإنما إقامة علاقة معرفية متوازنة تقوم على الحوار والنقد والتجاوز الخلاق.

وعليه، فإن الأفق المنشود للبحث اللساني العربي هو أفق «لسانيات ما بعد الترجمة»، حيث تتجاوز العربية موقع المتلقي والمستهلِك للنظرية إلى موقع المنتج والمشارك في بنائها وتطويرها، وحيث تغدو اللسانيات العربية قادرة على الإسهام في النقاش اللساني العالمي من موقع الندية، لا من موقع التبعية. وفي هذا الأفق، لا تعود الترجمة غاية في ذاتها، بل مرحلة تأسيسية ضرورية تمهّد لمرحلة أعمق، يكون فيها الإبداع النظري والتجديد المنهجي ثمرةً طبيعية لتراكم علمي أصيل.

والخلاصة أن:

1. الترجمة شكّلت الإطار التأسيسي لنشأة اللسانيات العربية الحديثة، إيجاباً وسلباً.
2. أسهمت الترجمة في تحديث الدرس اللغوي العربي وإدخاله في أفق المنهجية العلمية المعاصرة.

3. أدّت تعددية الترجمات واختلاف مرجعياتها إلى فوضى مصطلحية أضعفت التراكم المعرفي.
4. بيّنت التجربة أن استيعاب اللسانيات يقتضي امتلاك منطق إنتاجها لا مجرد نقل مفاهيمها.
5. يتمثل التحدي المستقبلي في تحويل الواقع اللغوي العربي إلى مادة نظرية لا إلى حقل تطبيق فقط.
6. يفضي هذا المسار إلى ضرورة بناء «لسانيات ما بعد الترجمة» بوصفها أفقاً لإنتاج معرفة لسانية عربية أصيلة.
7. للمعرفة اللسانية، لا مجرد حقل تجارب لنظريات الآخرين.

5. قائمة المراجع:

— Al-Jabri, M. A. (1985). Binyat al-Aql al-Arabi [The Structure of the Arab Mind]. Beirut: Centre for Arab Unity Studies.

— Al-Messiri, A. (2002). Ishkaliyat al-Tahayuz: Ru'ya Epistemologia [The Problematic of Bias: An Epistemological Vision]. Cairo.

— Berman, A. (1985). and the Trials of the Foreign. (L. Venuti, Trans.). In The Translation Studies Reader . London: Routledge.

— Crystal, D. (2001). Language and the Internet. Cambridge: Cambridge University Press.

— Hutchins, W. J. (2000). Early Years in Machine Translation: Memoirs and Biographies of Pioneers. Amsterdam: John Benjamins Publishing.

— Tamam , H. (1994). Al-Lugha al-‘Arabiyya: Ma’na wa Mabin [The Arabic Language: Meaning and Structure]. Cairo: Dar al-Thaqafa.

— Venuti, L. (1995). The Translator's Invisibility: A History of Translation. London: Routledge.

— Zakharia, M. (1993). Al-Mustalah al-Lisani wa-Mushkilat al-Tarjama [Linguistic Terminology and Translation Problems]. Beirut: University Establishment.